مجلة أنساق للفنون والآداب والعلوم
الإنسانية
الإصدار الثالث
المجلد (٢) العدد (١)
٢٠٢١ (٨٤-٩٧)

مجلة أنساق

Middle East Institution of scientific Publishing

الإمام يحي بن محمد بن عبد الله، الشاوي، المليانى، الجزائري (١٠٣٠-١٠٩٦هـ) حياته وآثاره

عادل خديري

إمام وخطيب، باحث في الدراسات الإسلامية

الإمارات العربية المتحدة

الإيميل: ***khediri.adel@yahoo.com***

نشر إلكترونياً بتاريخ: ١٩/٤/٢٠٢١

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License.

الملخّص

إنّ المتتبّع لإسهامات الفقهاء في القطر الجزائري يلحظ بوضوح أنّهم استفرغوا وسعَهم في نشر المذهب المالكي وخدمته، وكان لهم الحظّ الموفور في العلم والمعرفة، وسعة الأفق، والحجج القويّة؛ مما يترجم صدق النصرة وقوّة العزيمة وسلامة المسلك، وإنّ إحياء ذلكم الرصيدَ الفقهي، ثم استثماره؛ يقتضي في المقام الأول مسحا شاملا لمفردات أبحاث وأعمال فقهاء الجزائر عبر القرون، وهذا المسح الشامل يعطي تصورا واضحا للباحثين ويدفع أقلامهم إلى تلمس المعالم المضيئة للاجتهاد الفقهي المالكي في الجزائر، وإبراز دور أعلامه في التمكين له، كما يقدم للمثقفين عامّة خطوطا عريضة لا يسهل تخطيها؛ تبرز بجلاء رسوخ المذهب المالكي بالجزائر واجتهاد فقهاء هذا البلد عبر الأجيال في خدمته ونشره، **وكما قيل: أول التجديد؛ قتل الماضي بحثا**. وأمامَنا إمام جبل، ساهم في رقي مذهب مالك، ألا وهو الإمام: يحيى بن محمد بن عبد الله، الشّاويُّ، المِلْيانيّ، الجزائري (1030ه - 1096 هـ) ؛ فأحببت أن أساهم بجهد المقلّ في إبراز سيرة ومكانة هذا الإمام في خدمة مذهب مالك بالجزائر.

الكلمات المفتاحية: المذهب المالكي

Abstract

The follower contributions of the jurists in the fate of Algeria. It is noted that they Istvrgua and their deployment in the doctrine of Maliki and services and had the praise of the late in science and knowledge and broad horizon and strong arguments, which translates the credibility of the victory and the

strength of determination and the ordination of the course. Revival of this balance of jurisprudence and then the form is limited to a comprehensive survey of the vocabulary of research and works of scholars Algeria On the centuries and this northern survey is clear to researchers and push pens to touch the illuminating features of jurisprudence jurisprudence Malki in Algeria and highlighted the role of his flags in empowering him. The intellectuals also provide broad lines that are not easy to easily overcome. The scholars of this country have endeavored to serve generations in its service and dissemination. Our imam is the imam of Jabal who contributed to the doctrine of Malik, the Imam: Yahya Ibn Muhammad Ibn Muhammad, Al-Shawawi, Al-Milyani, Al-Algeria 1030-1096H. I liked that he contributed to the effort of the Maql to highlight the biography and position of this imam in the service of the Malik doctrine in Algeria.
Keywords: Maliki school

*** مقدّمة**

لـــــمّا كان التاريخ مرآة الأمم، يعكس ماضيها، ويترجم حاضرها، وتستلهم من خلاله مستقبلها، كان من الأهمّيّة بمكان الاهتمام به، والحفاظ عليه، ونقله إلى الأجيال نقلاً صحيحاً، حتى يكون نبراساً وهادياً لهم في حاضرهم ومستقبلهم، فالشعوب التي لا تاريخ لها؛ لا وجود لها، إذ به قوام الأمم، تحيى بوجوده، وتموت بانعدامه.

ولقد ساهم فقهاء الجزائر في حركة التعليم والتأليف الفقهي مساهمة جِدُّ فعّالة، وليس أدلّ على ذلك من وجود العشرات من العلماء الجهابذة الذين بلغوا درجة الاجتهاد، والتأليف، والتنقيح، والتحرير، بل قد اشتهرت أُسَرٌ عديدة بالعلم، وتوارثته لقرون عديدة، منها على سبيل المثال لا الحصر: المشدّاليون، المرازقة، العَقْبانيون، المقَّرِيُون،... وغيرهم.

وقد عرفت الحواضر العلمية في الجزائر، حركةً دؤوبا في التعليم والتأليف، واشتهرت تلمسان، ووهران، وبجاية، والجزائر، وتيهرت، وقلعة بني حماد بكثرة مدارسها، وعلمائها، ومكتباتها؛ مساهمة منها في تشييد صرح مذهب مالك في هذا القطر.

وبناء عليه؛ فقد استفرغ فقهاء الجزائر عبر القرون وسعهم في نشر المذهب المالكي والتمكين له، وكان لهم الحظّ الموفور في العلم، والمعرفة، وسعة الأفق، والحجج القويّة؛ ممّا يترجم صدق النصرة، وقوّة العزيمة، وسلامة المسلك.

ومن هؤلاء الأعلام؛ الشّيخ الفقيه الصّالح؛ أبو زكرياء، يحيى بن أبي عبد الله محمّد بن محمّد بن عبد الله بن عيسى بن شبل النائليّ المليانيّ الجزائريّ، المالكيّ (**1030 – 1096 هـــ**)، وهذا بحث مختصر أرمي من خلاله إلى بيان

لمحة من سيرة هذا العَلَم وجملة من آثاره العلمية، وأسأل الله التوفيق والسَداد في الأمر كلّه.

*** إشكالية البحث**

يرمي هذا البحث المختصر إلى الإجابة عن الأسئلة الآتية:-

١- من هو الإمام يحيى الشاّوي [1]المليانيّ؟ وما هي مترلته بين الفحول والفقهاء ضمن إطار مذهب مالك وخارجه؟

٢- ما أهمية مصنفاته في شتى العلوم، وما مدى إضافتها للمدرسة المالكية؟

*** الأهداف**

يصبو هذا البحث المختصر إلى تحقيق جملة من الأهداف منها:-

١- التعريف برمز من رموز العلم والنبوغ في الجزائر والحث على التأسي به، وتكسير حاجز الجهل بيننا وبين فحول وعظماء الجزائر في شتى مجالات المعرفة.

٢- إعطاء تصور كامل عن آثاره وبيان المخطوط منها ومضان وجوده ليتسنى للباحثين تحقيقها وإخراجها.

*** مولده ونشأته وطلبه للعلم**

هو فخر الجزائر، أبو زكرياء[2]، يحيى بن محمّد بن عبد الله بن عيسى[3] بن شبل بن أبي البركات[4] النائليّ، المليانيّ، الشّاويّ[5] تسمية لا نسبا، الجزائري، المالكي[6].

الفقيه، النحوي، المتكلم [7] ، نعته صاحب (أوضح الإشارات) بشيخ الإسلام [8]، وذكره تلميذه المُحِبِّي في خلاصّة الأثر، وأطنب في الثناء عليه، وممّا قاله: شيخنا الأستاذ

([2]) كنّاه صاحب نزهة الأنظار بأبي البركات، راجع: مقديش، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ(1988)(ص205).

([3]) ذكرت محققة (حاشية على شرح المرادي على الألفية) أنّه اسمه الذي أثبته في مقدمة المخطوطة- قسم الدراسة -44

[4]) ذكر محقق كتاب المحاكمات أنه أخذ (شبل بن أبي البركات) من مقدمة وخاتمة كتب المؤلف التالية: الغيث الهتّان وفتح المنان - قسم الدراسة- 40/1

[5]) نصّ الكتّاني في ترجمته على أنه تسمية له لا لقب – فهرس الفهارس-(1132/2)، ونقل الجيلالي كلمة للشّاوي في سبب تسميته بذلك، قال: وسبب تسميتي يحي الشّاوي هو أن ليلة ولادتي استضافنا الشيخ يحي الشّاوي، وكان هذا السيد من أجلاء المشايخ، فسماني والدي به تفاؤلا، ينظر: تاريخ الجزائر العام (173/3).

(6) راجع ترجمته في خلاصة الأثر (486/4)، وتعريف الخلف برجال السلف (187/1)، شجرة النور الزكية (316)، هدية العارفين (533/2)، الفكر السامي (116/4)، الأعلام للزركلي (214/9)، معجم أعلام الجزائر (202)، وغيرها.

([7]) سعد الله أبو القاسم،تاريخ الجزائر الثقافي (102/2).

8) شلبي أحمد عبد الغني، أوضح الإشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشات (ص203).

الذي ختمت بعصره أعصر الأعلام، وأصبحت عوارفه كالأطواق في أجياد الليالي والأيام[9].

هذا بعض ما قيل في مدحه، ووصفه المحبّي أيضا بحدّة الطبع، والتميّز من الغيظ عند الغضب[10].

ولد بمدينة مليانة [11] سنة (**1030**ه) **على الأرجح**، ونشأ مترجمنا في أسرة اشتهرت بتحمّل العلم والعمل به؛ فكان لهذه البيئة أثرها فيه، فبكّر بطلب العلم والأخذ عن الشيوخ، فقرأ صغيراً على والده وعلماء محلته، فحفظ القرآن الكريم وهو ابن ثمان سنين، وتعلّم مبادئ العربية وعلومها، وأخذ الحديث، والفقه، والأصول وغيرها عن شيوخ بلدته، ثم تابع تحصيله العلمي؛ فقرأ في مختلف العلوم، ومنها: التفسير، والحديث، رواية دراية، على مشايخ كثيرين، منهم علماء الجزائر المحروسة التي انتقل إليها بعد أن اشتدّ عوده، ونذكر بعضَهم:-

١- أبو محمّد، سعيد قدّورة (ت 1066 هـــ) ، وهو: سعيد بن ابراهيم بن عبد الرحمن و شهرته قدورة و قد اشتهر أيضا بنسبته الجزائري ، و كان يدعى أيضا شيخ الإسلام و الإمام المفسّر، المحدّث، المسند، الشّاعر، صاحب التآليف المشهورة ، مفتي المالكية بأرض الجزائر لأكثر من أربعين عاما – من 1028هـــ إلى وفاته -رحمه الله-

٢- أبو الحسن، علي بن عبد الواحد بن محمّد الأنصاري، السجلماسي، الجزائري المالكي ، عالم أديب، ناظم ،مشارك في التفسير، والفقه، والحديث، والأصول والطب، والفرائض، والمعاني، والبيان، والتاريخ، والمنطق، وغيرها، ودرس عليه علوما شتى، منها صحيح البخاري دراية ورواية، وبعض كتاب الشفا، وألفية العراقي في مصطلح الحديث ، كما درس الكتب التالية: مختصر خليل، والرّسالة ، وتحفة الحكّام لابن عاصم، وجمع الجوامع للسبكي[12].

٣- عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثّعالبي (ت 875 هـــ): الإمام المفسر المتفنّن ، المحدّث المشهور، عالم الجزائر ومسندها، صاحب التفسير المعروف بالجواهر الحِسان وغيرها .

٤- محمد بن على أبهلول الزواوي السعدي ، وقد سافر مترجمنا الى قرب مدينة تِنس (مدينة تتبع ولاية الشلف حاليا) أين توجد زاويته، فدرس عليه الحديث، والفقه، والعروض، وأجازه بجميع مروياته.

قال عنه العربي المشرفي الحسني الإدريسي: نادرة الزمان، الشريف الأصيل، والعلاّمة الجليل، من شرفاء بني حمود الحسني، كان إماما هُماما، عالما، زاهدا، عابدا، تفرّد بهذه الأوصاف الشريفة علي سائر علماء وقته، واشتهر بالصّلاح والتقوى.

---

9) المحِبّي، خلاصة الأثر خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ط 1284هـ (4 / 486).

(10) المحبي، نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة، (46/5).

11) قال ياقوت الحموي : مِليَانَةُ: بالكسر ثم السكون وياء تحتها نقطتان خفيفة وبعد الألف نون: مدينة في آخر إفريقية بينها وبين تنس أربعة أيام، وهي مدينة رومية قديمة فيها آبار وأنهار تطحن عليها الرحى، جددها زيري بن مناد وأسكنها بُلُكين- معجم البلدان-، والآن هي إحدى دوائر ولاية عيد الدفلى بالجزائر.

(12) المحِبّي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر المطبعة الوهيبة، 1284هـ (4/ 486).

٥- أبو مهدي عيسى بن محمد الثعالبي[13]، قال عنه عبد الحي بن عبد الكبير الكتّاني : (مسند الدنيا في زمانه أبو مهدي عيسى الثعالبي الجزائري، ثم المكي، المالكي. **(14)**

وقال عنه تلميذه أبو سالم في فهرسته: (الشيخ الإمام نخبة الفضلاء، وواسطة عقد النبلاء، حسنة اللّيالي و الأيّام، وواحد العلماء الأعلام ... شيخنا أبو مهدي، استوطن الآن أرض الحجاز يتردد بين الحرمين، له في قلوب أهلها محبة و إجلال ، نفعنا الله به**(15)**.

وغيرهم من علماء الجزائر الذين تلقى عنهم، وأجازوه، وشهدوا له بالبراعة في التفسير، والحديث رواية ودراية ، شرحا وإسنادا ، والأصول، والعربية، والمعاني والبيان، والفقه.

ولمّا أحسّ الإمام يحي الشّاوي من نفسه القدرة و التمكّن؛ عقد مجالس للتّدريس والتحديث والإقراء، فتصدّر للإفادة ببلده، وكانت حافظته مما يقضى منها بالعجب.

فكان يدّرس و يشرح الكتب الستّة ، كما اشتهر برواية الموطأ وشرحه، وانتفع به الطلبة وتفقه به جماعة من الطلبة والأعيان، وكان يبتدئ مجلس الدّرس بالفاتحة، وآية الكرسي، والإخلاص، والمعوذتين، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، والدعاء، ثم يبدأ في سرد الأحاديث من حفظه بأسانيدها.

وقد اتسعت حلقة درسه مثل شيوخه، واشتهر ذكره، وانتظم في عداد العلماء، لكنّ حبّه للإسناد العالي وشغفه بطلب العلم جعلاه يغادر أرض الجزائر، فقد كثرت أسفاره ورحلاته؛ فزار مصر، والحجاز، ودمشق ، وبغداد، والروم (تركيا)، وغيرها من البلدان.

*** رحلته الى الحجاز**

سافر الشيخ يحي المليانى إلى الحجاز؛ لأداء فريضة الحج سنة (**1073هـ**)، و قد استغل هذه الرحلة فأخذ عن علماء وشيوخ الحجاز، وأجازوه بعد أن حضر مجالس سماعهم، وأخذ عنهم .

(13) أبو مهدي عيسى الثعالبي، الإمام العلامة المحقق، ولد فيزواوز ببجاية في مطلع القرن 11 هجري، التحق بالعاصمة ودرس على يد خيرة علمائها الفقه والحديث، أمثال الشيخ سعيد بوقندورة، تنقل الشيخ عبر ربوع الجزائر ثم هاجر إلى تونس والمشرق سنة (1061ه) وزار مكة مكرمة حاجاً، وتصدى هنالك للتعليم والفقه وعلوم الحديث واللغة، ودرس على يديه عدد من العلماء منهم الرحالة العياشي، انتقل الشيخ بعدها إلى مصر واستقر بها مدة من الزمن بداية سنة (1064ه) ، توفي الشيخ بمكة سنة (1080ه) - تاركاً مجموعة من المؤلفات في شتى العلوم، من آثاره « كنز الرواية المجموع في درر المجاز ويواقيت المسموع » و «منتخب الأسانيد في وصل المصنفات والأجزاء والمسانيد» وهو فهرست لمرويات شيخه البابلي وشيوخه وسلسلاته، راجع ترجمته في الأعلام للزركلي.

(14) الكتاني، عبد الحي فهرس الفهارس والأثبات 1982م (1 /501).

15) المجذوب ، وآخرون، موسوعة أعلام المغرب، 2008م (4 / 1561).

*** العودة والإقامة بمصر**

عاد من الأراضي المقدّسة قاصدا مصر سنة (**1074 هـــ**) ، بهدف الدراسة و الأخذ عن علمائها و شيوخها، وقد طاب له المقام فاستقر بها معلّما و مدرِّسا ، و من العلماء الذين استفاد منهم في مصر:-

١- أبو الحسن علي الشبراملسي الضرير، إمام مسجد المغاربة بالقاهرة، ذكر أبو سالم العيّاشي في رحلته[16] أنه تلقى عنه القراءات ، والشيخ الشبراملسي إمام معتبر في هذا الشأن نجده في سلاسل إسناد الأئمة المعتمدين في مصر[17]

٢- سلطان المزاحي: شيخ القراء بالقاهرة في زمانه على الإطلاق ، ومرجع الفقهاء بالاتفاق ت 1075 هـــ ، ترجم له تلميذه المحبي في خلاصّة الأثر (**2/210-212**) فقال عنه : (الإمام المقرئ سلطان بن أحمد بن سلامة بن إسماعيل، أبو العزائم المزاحي المصري الأزهري، من الحفاظ والقراء، فريد العصر، وعلامة الزمان، قرأ بالروايات على شيوخ عصره ، وأجيز بالإفتاء والتدريس سنة ثمان بعد الألف، وتصدر بالأزهر للتدريس، فكان يجلس في كل يوم مجلسًا يقرئ فيه العلوم الشرعية والقراءات...وأخذ عنه كثير من العلماء المحققين ...وألف تآليف نافعة منها حاشيته على شرح المنهج للقاضي زكريا في فقه الشافعي، وله مؤلف في القراءات الأربع الزائدة على العشر من طريق القباقبي ، ورسالة في التجويد، وكانت ولادته في سنة خمس وثمانين وتسعمائة، وتوفي ليلة الأربعاء سابع عشر من شهر جمادى الآخرة سنة خمس وسبعين وألف[18]

٣- الشمس البابلي العلاّمة المقرئ ، المفسِّر (**ت 1077 هـــ**)[19] وصفه المحبي في خلاصّة الأثر فقال " الإمام حافظ الزمان، المسند أبو عبد الله محمد بن العلاء البابلي المصري الشافعي الشيخ البابلي، حجة مصر على الآفاق في صدر الألف الهجري ، أحد الأعلام في الحديث والفقه وهو أحفظ أهل عصره لمتون الأحاديث وأعرفهم بجرحها ورجالها وصحيحها "[20]

*** دروسه بالأزهر ورحلاته**

بعد أن أجازه هؤلاء الأئمة الأعلام وأثنوا عليه، وشاهدوا بأنفسهم سعة علمه، وحدّة ذكائه، وحسن حفظه ، قدّموه للتّدريس بالأزهر الشريف، ثم تصدّر للإقراء بالأزهر، واشتهر بالفضل، وحظي عند أكابر الدولة واستمر على

([16]) العيّاشي، الرحلة العيّاشية الأولى 2006 (145/1).

([17]) علي بن علي الشبراملسي، أبو الضياء، نور الدين: مقرئ، وفقيه شافعي مصري، كف بصره في طفولته وهومن أهل شبراملس بالغربية، بمصر) تعلّم وعلّم بالأزهر، وصنف كتبا، منها " حاشية على المواهب اللدنية للقسطلاني - خ وله: حاشية على الشمائل باسم: حواش على متن الشمائل وشرحها لابن حجر المكي وغيرها، انظر: الأعلام للزركلي (314/4)، ووفيات الأعيان(331/1).

(18) والمزاحي: بفتح الميم وتشديد الزاي وبعدها ألف وحاء مهملة، نسبة إلى منية مزاح قرية من قرى محافظة (الدقهلية) بمصر، انظر الأعلام للزركلي (164/3)، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (238/4).

(19) هو أبو عبد الله، شمس الدين محمد بن علاء الدين البابلي. ولد بقرية بابل (من قرى مصر) ونشأ وتوفي في القاهرة .ولتلميذه عيسى بن محمد المغربي (1077 هـ) كتاب «منتخب الأسانيد في وصل المصنفات والأجزاء والمسانيد» وهو فهرست لمرويات البابلي وشيوخه وسلسلاته، طبع الكتاب عن دار الصديق للطباعة والنشر.

([20]) لمزيد من الاطلاع على شيوخه راجع: فهرس الفهارس و الأثبات (211/1).

القراءة مدة؛ قرأ فيها: مختصر خليل، وشرح الألفية للمرادي، وعقائد السنوسي وشروحها وشرح الجمل للخونجي لابن عرفة في المنطق.

ثم رحل إلى الروم (تركيا)، فمر في طريقه على دمشق، وعقد بجامع بني أمية مجلساً اجتمع فيه علماؤها، وشهدوا له بالفضل التام، وتلقوه بما يجب له ومدحه شعراؤها، واستجاز منه نبلاؤها.

ثم توجه إلى الروم، فاجتمع به أكابر الموالي، وبالغ في إكرامه شيخ الإسلام: يحيى المنقاري، والصدر الأعظم الفاضل، وحضر الدرس الذي تجتمع فيه العلماء للبحث بحضرة السلطان، فبحث معهم واشتهر بالعلم.

ثم رجع إلى مصر معظّماً مهاباً موّقراً، وقد وليّ بها تدريس الأشرفية، والسليمانية، والصرغتمشية وغيرها، وأقام بمصر مدّة.

ثم رجع إلى الروم، فأنزله مصطفى باشا صاحب السلطان في داره فقرأ عليه جملة من فضلاء دمشق، منهم الفاضل: أبو الإسعاد ابن الشيخ أيوب، والشيخ زين الدين البصري، والشيخ عبد الرحمن المجلد، والسيد أبو المواهب سبط العرضي الحلبي ، فقرؤوا تفسير سورة الفاتحة من البيضاوي مع حاشية العصام، ومختصر المعاني مع حاشية الحفيد، والخطائي، والألفية، وبعض شرح الدواني على العقائد العضدية وأجازهم جميعاً بإجازة نظمها لهم "**(21)**

وقد أورد عبد الحي الكتاني عن حفظه في " حاشية الشيخ التاودي ابن سودة على صحيح البخاري لما ذكر امتحان أهل بخارى لفخر بلدهم الإمام أبي عبد الله البخاري بقلبهم له الأسانيد قلت يشبه هذه القصة ما حكى لي بعض المصريين على الشيخ يحيى الشاوي كان ظهر على أهل مصر بحفظه وذكائه" **(22)**

*** أقوال العلماء فيه**

١- قال فيه تلميذه المحبي في " خلاصة الأثر " هو الأستاذ الذي ختمت بعصره أعصر الأعلام، وأصبحت عوارفه كالأطواق في أجياد الليالي والأيام اهـــــ.

٢- قال تلميذه الشهاب أحمد بن قاسم البوني([23]) في ثبته: " كان يحفظ شرح التتائي الكبير، وشرح الإمام بهرام الوسط وغيرهما.... حتى إنه يذكر في بعض المسائل خمسين قولاً منسوبة لقائلها وأمثال ذلك، وأما التواليف التي هي كراريس قليلة يحفظ منها ما لا يحصى، كيف لا وهو يحفظ من ثلاث عرضات لا غير، فحفظ القرآن وهو ابن ثمان سنين، حتى عبر عنه شيخنا سيدي بركات بن باديس القسنطيني بقوله: " إنه عالم الربع المعمور " اهـ**(24)**

٣- قال أبو الحسن عليّ النوري الصفاقصي([25]) في فهرسته : " أشعري الزمان، وسيبويه الأوان، وقال: لم أر

([21]) خلاصة الأثر (235/3).

[22]() فهرس الفهارس (1134/2).

(23) الشيخ الراويّة، المحدِّث، أبو العبّاس، أحمد بن قاسم بن محمد ساسي، التميمي، البوني، عالم كبير من علماء الجزائر المعروفين، ولد ببونة المعروفة الآن بعنّابة سنة (1063ه) و توفي بها رحمه الله سنة (1139ه) من آثاره: "الدرة المصونة في علماء وصلحاء بونة، وهو عبارة عن منظومة تحتوي على ألف بيت، وغيرها.

24() فهرس الفهارس (1134/2).

(25) علي بن محمد بن سالم، أبو الحسن النوري الصفاقسي: مقرئ من فقهاء المالكية. من أهل صفاقس. ولد سنة (1053هـ)، رحل إلى تونس ومنها إلى المشرق، فأخذ عن

أسرع منه نظماً، قال: وقرأنا عليه شرح المرادي على الألفية، وكنا نصحّح نسخنا على حفظه، ولّما كتب لي الإجازة قال: مؤرخة بمجموع الاسم واللقب، فعددت حروف يحيى الشاوي فوجدتها 78 وألف وذلك هو التاريخ، فتعجبت من شدّة فطانته " اهـ.

٤- وذكر البوني أنه نزل عليه في داره بمصر، فكان يرِد عليه في كل يوم نحو العشرين سؤالاً وأكثر، فيجيب عنها بلا كلفة ولا مطالعة، قال: **الحاصل أنه لا نظير له، وما ذكرت من وصفه حتى العشر، وطوبى لعين رأته ولو مرّة في الدّهر " اهـ.**[26]

*** وفاتـــــــه**

أجمعت المصادر أنه سافر قاصدا بيت الله الحرام؛ لأداء فريضة الحج في البحر، فمات وهو على متن سفينة ، يوم الثلاثاء العاشر وقيل السادس، سنة ست وتسعين وألف (1096هـ / 1685م).

ويذكر المحبّي في إشارة إلى كراماته: وأراد الملاحون إلقاءه في البحر لبعد البّر عنهم فقامت ريح شديدة قطعت شراع السفينة ، فقصدوا البر وأرسوا بمكان يقال له: رأس أبي محمد فدفنوه به، ثم نقله ولده الشيخ عيسى بعد بلوغه خبره إلى مصر ودفنه بها بالقرافة الكبرى بتربة السادة المالكية ووصل إلى مصر و لم يتغير جسده ." [27]

*** مؤلفـــاتـــــه**

هذا العالم الذي اشتهر بمجالسه العلمية ودروسه الحديثية، وكثرة تلاميذه وطلبته، ومع ذلك ترك لنا ثروة تراثية هامّة، لكن مع كثير من الأسف بقيت حبيسة المكتبات، فلم تخدم خدمة تليق بها، واللوم موجّه إلى أبناء بلده الجزائر بصفة خاصة، أذكر منها:-

١- المحاكمات بين ابن عطيّة وأبي حيّان والزمخشري، وهذا الكتاب جمع بين ثلاثة من كبار المفسرين وهم:-

١- أبو حيّان الغرناطي؛ مؤلف كتاب البحر المحيط في التفسير.

٢- ابن عطيّة الأندلسي؛ صاحب كتاب المحرر الوجيز في التفسير.

٣- جار الله الزمخشري؛ صاحب كتاب الكشّاف في التفسير.

وقد ذكر فيه المؤلف اعتراضات أبي حيان الأندلسي صاحب تفسير البحر المحيط على الإمامين ابن عطية والزمخشري في تفسيريهما، وقام المؤلف الشّاوي بالتعليق على هذه الاختلافات.

وقد رمز الشّاوي لابن عطية بحرف (ع)، ولأبي حيّان بحرف (ح)، وللزمخشري بحرف (ز)، ورمز المؤلف لكلامه وتعقيباته بحرف (ت).

علماء كثيرين دوّن أسماءهم في «فهرسة» حافلة، وعاد إلى صفاقس، فصنف كتبا، منها «غيث النفع في القراءات السبع » و «تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين » و«عقيدة» في التوحيد، وغيرها، توفي سنة (1118هـ)، انظر الأعلام للزركلي.

(26) فهرس الفهارس (1134/2).

([27]) خلاصة الأثر (3 /235)، أوضح الإشارات (ص203)، تاريخ الجزائر العام (177/3).

وقد رتّبه المؤلّف على ترتيب سور القرآن، وهو كتاب قيّم فيه فوائد متفرقة، واستدراكات علمية دقيقة، جدير بالطّالب المتخصص أن يطلع عليه. والكتاب طبع في مجلدين، صدر عن دار الكتب العلمية ببيروت الطبعة الأولى 1430هـ وقد قام بتحقيقه محمد عثمان.

وللكتاب نسخة مخطوطة ، هذه وبياناتها: رقم النسخة (340244)، عدد الأوراق (316) بمكتبة المخطوطات بالأزهر الشريف بمصر جزى الله القائمين عليه خيرا.

٢- حاشية على شرح أم البراهين للسنوسي في العقائد: المسمّاة "توكيد العقد فيما أخذ الله علينا من العهد، والكتاب لازال مخطوطا، وهذه بعض نسخه:-

أ- المكتبه العبدليه بجامع الزيتونه بتونس برقم (**3/14/1305-1306**).

ب- المكتبة المركزية بالمملكة العربية السعودية، برقم (**3962**).

ج- المكتبة الازهرية برقم: (**[333] 3415, [203] 4438, [2324] 22960, [2730] حليم33331**).

٣- حاشية على شرح الألفية للمرادي وقد طبع جزء من الكتاب، كرسالة دكتوراه للباحثة/ وفاء بنت عبد العزيز بن علي الجزائري، بجامعة طيبة بالمدينة النبوية 2007م

٤- شرح التسهيل لابن مالك[28].

٥- حاشية على شرح الشريف للآجرومية[29]، وقد استعان الشّاوي بهذا الشرح في حاشيته على شرح المرادي للألفية.

٦- شرح مقامات الحريري[30].

٧- الدر النضيد في إعراب كلمة التوحيد، وهو نظم جمع فيه أقوال النحاة في كلمة التوحيد وشرحها، وقد ذكر تلميذه النوري أنه نظمها في ساعة بين العشائين، وهو يتحدث مع بعض أصحابه[31]

٨- شرح الدّر النضيد في إعراب كلمة التوحيد، وهو النظم السابق، وله نسخة في مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض (554) في (31) لوحة.

٩- قرة العين في جمع البين من علم التوحيد[32]، وهو كتاب ذكر فيه عشرين مسألة مما اختلف فيه الأشعرية والماتريدية، وحاول التوفيق بين آرائهم، وله نسخة خطية بالمكتبة الصادقية بتونس، ونسختان بالحرم المكي الشريف الأولى برقم (1426) عقائد، والثانية برقم (1340) عقائد.

١٠- الغيث الهتّان المتلاطم في أحكام القرآن[33]، وقد ألّفه الشّاوي في زيارته الثانية لاسطنبول، وذكر في مقدمته أنه سمّاه

(28) خلاصة الأثر (488/4)، تاريخ الجزائر العام (176/3)، تاريخ الجزائر الثقافي (109/2)، الأعلام (169/8).
(29) تاريخ الجزائر العام (176/3).
(30) تاريخ الجزائر العام (176/3).

(31) شجرة النور الزكية (ص317) فهرس الفهارس (1133/2-1134).
(32) راجع: كشف الظنون (415/6)، هدية العارفين (533/2)، معجم أعلام الجزائر (203)، تاريخ الجزائر الثقافي (109/2).
(33) تاريخ الجزائر العام (176/3).

وقت الإهداء: إتحاف الوزير بتحف من التفسير، وتوجد منه نسخة مخطوطة في مكتبة جلبي عبد الله في المكتبة السليمانية بتركيا برقم (14) في (149) ورقة.

١١- حاشية على شرح الأجهوري لشرح الناصر اللّقاني لخطبة مختصر خليل المالكي[34].

١٢- حاشية على شرح التتائي الكبير[35].

١٣- الترجيح في بيان ما للبخاري من التصحيح، ذكره تلميذه الشهاب النخلي في فهرسته[36].

١٤- ثبت يحي الشاوي[37]، وهو فهرس جمع فيه مرويات شيخه البابلي، وتوجد منه نسخة خطية في مكتبة الحرم المكي برقم (**10/754/2**) علوم حديث[38].

وغيرها من المؤلفات.

*** تلاميذه**

تتلمذ على يديه خلق كثير حيث انتفع بعلمه شيوخ، وعلماء، قدموا خدمات جليلة بقيت آثارها في مؤلفاتهم، وفي ما تخرج على أيديهم من الخلف الصالح، و سأذكر هنا بعضا من تلاميذه على سبيل المثال – لا الحصر:-

١- المفتي، المؤرخ، الأديب، محمد أمين بن فضل الله المحبي، الحموي صاحب " خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، درس عليه هو وجماعة من الشاميين تفسير سورة الفاتحة من البيضاوي ، و الألفية و العقائد و نحوها ، و أجازه الشاوي إجازة نظما ، هي منظومة ذكر فيها مروياته التي أجازه بها ولابأس بذكرها هنا:-

أجزت الإمام اللوذعي المعبرا *** أميناً أمين الدين روحاً مصورا
سليل محب الدين بيت هداية *** وبيت منـــــــــــــــار العلم قدماً تقررا
بإقرائه متن البخاري الذي به *** تقاصـــــــــــــر عنه من عداه وقصرا
موطا شفاء والشفاء لمسلم *** إذا مســـــــــــــــــــــــــــلماً تقريه حقاً تصدرا
وباقي رجال النقل حقاً مبيناً *** وتفـــــــــــــسير قول الله في الكل قررا
أجزت المسمى البدر في الشرع كله * كما صح لي فاترك مراه تكدرا
وعلم كلام خالي عن أكاذب الفلاسفة ** الضـــــــــــــــــــــــــلال والعدل نكرا
أقول لكل فلسفي يدينه*** ألا لعنة الرحـــــــــــــــــــــــــــــــمن تعلو مزورا
أجبريل فلك عاشر يا عـــــــــــــــــــــــــــدانا *** أعادى شرع الله نلتم تحبرا
بأي طريق قلتم عشر عـــــــــــــــــــــــــــشرة *** ونفى صفات والقديم تحجرا
حكمتم على الرحمن حجراً محجراً *** ومنعكم خلق الحوادث دمرا
أبرى الحبيب اللوذعي عن الردى *** مجازاً بدين الشرع كلاّ محررا
ولكن عليه النصح والجد والتقى *** وإن ناله أمر القضاء تصـــــــــبرا
حماه إله العـــــــــــــــــــــــــــــــرش من كل فتنة *** ونجاه من أسواء سوء تسترا
وصل وسلم بكرة وعشية *** علـــــــــــــــى من به أحيا القلوب تحبرا [39]

٢- العالم المحدّث أبو العباس، أحمد بن قاسم بن محمد البوني[40] -سبقت ترجمته في الهامش- ـــذكر أن النايلي الشاوي هو أستاذه وشيخه.

(34) المصدر السابق.
(35) المصدر السابق.
(36) فهرس الفهارس (1133/2).
(37) المصدر السابق.
(38) الفهرس المختصر لمخطوطات الحرم المكي (266/1).
(39) خلاصة الأثر(235/3) .
40) بونة هو الاسم القديم لمدينة عنابة حاليا.

٣- الشّهاب النخلي المكي (ت سنة 1130 هـ) : ذكر أستاذه الشاوي النايلي في فهرسه: " بغية الطالبين لبيان المشايخ المعتمدين " وأثنى عليه.

٤- الشيخ الإمام، خاتمة المحدّثين، الشيخ عبد الله بن سالم بن عيسى، البصري منشئاً، المكي مولداً، الشافعي مذهباً.

٥- الإمام المحدّث العلامة والبحر الفهّامة، الشيخ إبراهيم بن موسى الفيومي المالكي، **شيخ الجامع الأزهر** ، أخذ عن الشبراملسي والزرقاني وغيرهم، وأخذ الحديث عن يحيى الشّاوي، وآخرين، وله شرح على العزيّة في مجلدين.

٦- الإمام الفقيه المحدث، شيخ الشيوخ المتقن المتفنن الشيخ أحمد بن مصطفى بن أحمد الزبيري المالكي الإسكندري(ت سنة 1162هـ)، نزيل مصر، وخاتمة المسندين بها، الشهير بالصبّاغ ذكر في برنامج شيوخه أنه أخذ عن يحيى الشّاوي.

٧- الشيخ الجليل الفهامة عبد السلام الكامدي :(ت 1147ه) دروس الشيخ يحيى الشاوي المغربي في شرح التسهيل، تحت قبة النسر.

٨- الإمام العالم المعمر عبد الرحمن المجلد (ت 1140): محيي الدين السليمي الحنفي المعروف بالمجلد الدمشقي، أجازه جماعة من المحدثين والفقهاء منهم: ابن سليمان الرداني ويحيى الشّاوي، وجلس للتدريس بالجامع الأموي بمحراب الصحابة، ولزمه الناس لأخذ العلم عنه، واشتهر بالنفس المبارك على طلبته، فقلّ من لم يقرأ عليه من طلبة العلم؛ لما كان عليه من سعة الصدر، وحسن الخلق، والصبر على تفهيم المتعلمين؛ فأخذ الناس عنه طبقة بعد طبقة، وكان محافظاً على الطاعات، وقراءة القرآن، والتهجد، ومتّعه الله بسمعه وبصره إلى أن مات -رحمه الله-

٩- حسن بن علي بن محمد بن عمر العجيمي، المكي الدار، مسند الحجاز :**(ت بالطائف سنة 1131هـ)** وأحد الشيوخ الثلاثة الذين ينتهي اليهم غالب أسانيد من بعدهم من العلماء في الحجاز واليمن ومصر والشام، وغيرها من البلدان[41] ، أخذ عن يحيى الشاوي، وأثباته وإجازاته كثيرة[42].

١٠- الإمام العلاّمة أبو المواهب الحنبلي(**ت 1126 هـ)** :محدِّث البلاد الشامية ومسندها ؛ محمد بن الشيخ تقي الدين عبد الباقي بن عبد القادر الحنبلي الدمشقي، مفتي الحنابلة بدمشق، و قد ذكر شيخَه الشاوي في ثبته الذي ترجم فيه لمشايخه، وذكر عبد الحي الكتّاني أنه باسم:" الكواكب الزاهرة في آثار الآخرة" اختصره من ثبت والده الشيخ عبد الباقي، وقال فيه: ولّما قدم الشام حضرت دروسه في علوم العربية والكلام والمنطق والتصوف لأنه قرأ تجاه نبي الله سيدي يحيى الحصور عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام كتاب

41) وثانيهم الشيخ: عبد الله بن سالم البصري؛ وثالثهم الشيخ: أحمد النخلي المكّي.

42) راجع ترجمته في الأعلام، جـ2، ص 223؛ البغدادي، إسماعيل. هدية العارفين، جـ1، ص 294؛ كحالة، عمر رضا. معجم المؤلفين، جـ 4، ص 264

الحكم لابن عطاء الله الإسكندري. وأيضا حضرت دروسه في التسهيل في العربية لابن مالك. وأجازني ومن حضر بسائر مروياته رحمه الله رحمة واسعة "[43]

ممن أجازهم الشّاوي أيضا: محمد بن زيد الكفيري ، و ذلك بأسانيده و مروياته عن مشايخه في كتب الموطأ و صحيح البخاري و غيرهما [44].

كما أجاز تقي الدين الحسني بالإجازة التي منحه إياها شيخه محمد السعدي البهلول[45] .

عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي، (1111ه) الشافعي، المكي، المؤرخ ، الأديب ، اللغوي ، من أشهر مؤلفاته: " سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي" الذي ذكر فيه أنه قرأ على شيخه الشّاوي متن السنوسية في علم العقائد، و سمع منه موطأ الامام مالك ، وأنه أجازه بمروياته وقد أثنى عليه قائلا : شيخنا العلامة، والمحقق الفهامة، إمام المعقول والمنقول، محرر الفروع والأصول، الفحل الذي لا يبارى في فنون العلوم، والسابق الذي لا يجارى في مضمار المنطوق والمفهوم.[46]

قال عن شيخه الشّاوي: العلاّمة أبو زكريا، يحيى، ابن الفقيه الصالح محمد النايلي الشاوي المليانى المغربي الجزائري، شيخنا العلامة، والمحقق الفهامة، إمام المعقول والمنقول، محرّر الفروع والأصول، الفحل الذي لا يبارى في فنون العلوم، والسابق الذي لا يجارى في مضمار المنطوق والمفهوم... قرأت عليه ليالي الموسم -آخر حججه- متن السنوسية في علم العقائد، فكان في التقرير دونه السيل الهدّار، والعباب الزاخر التيّار، أملى في وجوه إعراب كلمة التوحيد، أربعمائة وخمسين وجهاً بالتعديد، فسبحان مفيض ما شاء على من شاء... وكانت له - رحمه الله - قوّة في البحث، واستحضار للمسائل الغريبة، وسعة حفظ مفرطة، وبداهة جواب لا يضل صوب الصواب[47]

مشيخة أبي المواهب الحنبلي (ص21).)43

[44]) انظر هذه الإجازة في دار الكتب المصرية ، مصطلح الحديث ضمن مجموع رقم 313 ، و هي بخط المجيز نفسه .

([45]) نفس المصدر رقم 335 مجموع ، [ذكر خير الدين الزركلي صاحب الأعلام : 214/9 أن عنده نسخه منها في اللوحة رقم 1460 من إجازة للشاوي بدار الكتب المصرية 313 مصطلح، وعليها خط الشاوي].

[46]) راجع ترجمته في كتاب الأعلام للزركلي.

(47) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تأليف: عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي (المتوفى: 1111هـ) دار الكتب عادل أحمد عبد الموجود- علي محمد معوض ط/ :تحقيق الأولى، 1419 هـ - 1998 م العلمية – بيروت، الطبعة (122/3).

*** الخاتمة**

بعد هذا البحث المختصر وجب الخلوص إلى جملة من النتائج والتوصيات وهي كالآتي:-

*** النتائج**

١- أسهمت هذه الورقات في بيان أن الجزائر كانت مهدا للعلم والحضارة عبر القرون، ويبرز ذلك جليا في سيرة هذا الإمام الجبل.

٢- أن الإمام يحي الشّاوي فقيه وفق مذهب مالك ومشارك في عدّة علوم، شهد له علماء عصره بتلك المكانه، ومؤلفاته خير شاهد على ذلك.

٣- أن أغلب تراث هذا الإمام مازال حبيس خزائن المخطوطات إلى الآن مع الأسف الشديد.

٤- أن مصنّفات هذا الإمام تنوعت في غالب فنون الشريعة، من العقيدة إلى الفقه واللغة وغيرها من العلوم.

*** التوصيّات**

١- أوصي الباحثين ببلدنا الجزائر بالعناية بنشر تراث بلادنا نشرا يليق بمكانة صاحبه، وتعريف الأجيال به.

٢- المساهمة في إخراج التراث المخطوط الخاص بتراث علماء الجزائر في شتى فروع المعرفة.

*** المراجع**

ابن مخلوف، محمد بن محمد بن عمر قاسم، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تحقيق: عبد المجيد خيالي، طبعة/ دار الكتب العلمية، 1424 - 2003

أبو القاسم سعد الله (المتوفى: 1435 هـ) (2007م) تاريخ الجزائر الثقافي أو (الموسوعة الثقافية الجزائرية): ط :دار البصائر للنشر والتوزيع- الجزائر:طبعة خاصة.

أحمد شلبي بن عبد الغني (1150هـ)، أوضح الإشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشات : الملقب بالتاريخ العيني، تقديم وتحقيق : عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، القاهرة : مكتبة الخانجي،

البغدادي، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم البابانى (المتوفى: 1399هـ) هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية استانبول 1951م أعادت طبعه بالأوفست :دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان

الجيلاني، عبد الرحمن (ط 1965م)، تاريخ الجزائر العام: منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت - الشركة الجزائرية، مرازقة وبوداود وشركاهم، الطبعة الثانية

حاجي خليفة، كشف الظنون كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تحقيق: محمد شرف الدين يالتقايا الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الدمشقي (المتوفى: 1396هـ)(أيار / مايو 2002 م) الأعلام، ط :دار العلم للملايين الطبعة الخامسة عشر.

عبد الكبير المجذوب الفاسي وآخرون، موسوعة أعلام المغرب، تحقيق: محمد الحجي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية 2008م

عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي (المتوفى: 1111هـ) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تحقيق :عادل أحمد عبد الموجود- علي محمد معوض ط/ دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، 1419 هـ

العيّاشي، أبو سالم عبد الله بن محمد، (2006م) الرحلة العيّاشية ، تحقيق وتقديم: د. سعيد الفاضلي و د. سليمان القرشي، الطبعة الأولى دار السويدي - أبو ظبي

الكتّاني، عبد الحيّ بن عبد الكبير ، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، ، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، الطبعة :2، 1982م

المحبّي، محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبّي (ت1111هـ) نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة، تحقيق/ عبد الفتاح محمد الحلو ، الطبعة الأولى.

المحبّي، محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبّي (ت1111هـ) خلاصة الأثر خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، المطبعة الوهيبة، 1284هـ

مقديش، محمود، (1988م) نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تأليف: ، تحقيق: علي الزواري - محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي رقم الطبعة: 1

نويهض، عادل، (1980م) مُعجَمُ أعلام الجزائر - من صَدر الإسلام حَتّى العَصر الحَاضِر، ، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت – لبنان الطبعة :الثانية.